رؤيــة القائد الفلسطيني

خالــد مشعــل

حول المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

التي قدمها في مقابلة مع

منتدى التفكير العربي

بتاريخ ١ يوليو ٢٠٢٠م

الناشر
منتدى التفكير العربي

رؤيـــــة
خالد مشعل

المشروع
الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

تقـديـم

يُعـد إعلان إسرائيـل نيتها ضم ٣٠ ٪ من أراضي الضفة الغربية المحتلة الواقعة فيمـا يعـرف بالمنطقة «ج»- إذا ما تم تنفيذ هذا المخطـط بالفعل- بمثابة إطلاق رصاصـة الرحمـة على مسـار التفاوض المحتـضر أصلا، أو إن صـح التعبير الميت سريريـا، وفي المقابل فإن مسـار المقاومة بـات وكأنه يعمل في غزة وحدها، في ظل عجزه عن التحرك الفاعل في الضفة الغربية بعد تعرضه لعمليات تجريم و تجريف عميقة منذ اتفاق أوسلو.

وإذا ما أضيف إلى ما سـبق التصدع الشـديد الذي أصاب الحاضنة العربية بانكفائها على ذاتها، أو بفعل تحقيق إسرائيل اختراقات تطبيعية، فإننا ندرك أن القضية الفلسـطينية تمر بمرحلة تاريخية مفصلية تختلف عن كل ما سبقها من تحديات.

ولم تتوقف إسرائيل يوما منذ أن سـطت على الأرض الفلسـطينية، عن اسـتحداث مشـاريع التصفية والتهجير والتهويـد منـذ «وعـد بلفور»، وصولا إلى «وعد ترمب»، ثم صفقته مـع نتنياهو، انتهاء بما يعرف اليوم

بـ «مشروع الضم». ولم يتوقف الفلسطيني بالمقابل عن ابتكار أساليب جديدة في مقاومة هذا المشروع الصهيوني بكل ما امتلك من أدوات.

يجري ذلك وسـط انقسـامات وانشغالات عربية، وفي ظل اسـتمرار الانقسام الفلسطيني الفلسطيني، وكل ذلك يجـري والفلسـطينيون يواجهون وحدهم مشروعـا صهيونيا يعمل على إقناع المحيـط العربي بأنه صديق وليس عدوّاً، محاولاً بذلك اغتيال الرواية الفلسـطينية للصراع، واسـتبدالها برواية صهيونية.

في ظـل هـذه الظـروف الدقيقة اسـتضاف منتدى التفكـير العربي، والذي مقـره لندن، قطباً مـن أقطاب العمل

رؤيـــــة
خالد مشعل

المشروع
الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

3

السياسي الفلسطيني، الأستاذ خالد مشعل الرئيس السابق للمكتب السياسي لحركة المقاومة الاسلامية (حماس)، لتقديم رؤيته حول هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ القضية الفلسطينية، وما هي الخيارات التي يراها متاحة أمام الشـعب الفلسطيني في ضوء هذه التحديات الجسام.

وضمـن سلسـلة نـدوات منتدى التفكير العربي في البحث عن سـبل مواجهة صفة القـرن ومشروع الضم، بادر المنتدى بالتواصل مع السـيد مشـعل، ضمن حوارات مستمرة يديرها المنتدى مع القيادات الفلسطينية من مختلف الاتجاهات الوطنية الفلسـطينية للإجابة عن سؤال ما العمل؟

وخـلال الحـوار الخاص الذي اسـتمر على مدار سـاعتين، تحت عنوان((الفلسـطينيون وسـبل مواجهة صفقة القرن ومشروع الضم))، والذي حاورتُه فيه يوم الأربعاء الموافق ٢٠٢٠/٧/١، طرحتُ على السـيد مشـعل أسـئلة اللحظة حول ملفات السـاعة، وتوصيفه للوضع الفلسـطيني ، وأسباب استمرار الانقسام وسبل الوحدة، ورؤيته لتوحيد القوى الفلسطينية في إطار برنامج وطني مشترك من شأنه التصدي للتهويد والضم وصفقة القرن، كما طرحنا عليه في ذات الحوار كذلك أسـئلة حول الخيارات الفلسـطينية المتاحة والممكنة في ظل الانسـداد السـياسي وانهيـار خيـار المفاوضات، وفي ظـل الصعوبات الكبيرة أمام مشروع المقاومة ومحدوديـة حلفائه بالنظر لموازين القوى القائمة، لينتهي مشـعل حول موضوع السـلطة إلى خيارين :

١- حل السلطة بتوافق وطني ورؤية بديلة.

٢- أو تغيير وظيفتها.

ويبرز تغيير وظيفة السـلطة كطرح جديد يرى مشـعل أنه «خيار لازم تقتضيه الضرورة والمسؤولية الوطنية، إذ لا يصح أن نقبل باستمرار وظيفة السلطة الحالية والتزاماتها الأمنية لصالح الاحتلال».

في الحالتين يعني ذلك وفقا للسيد مشعل الاشتباك مع الاحتلال الإسرائيلي، ويرى قبل الولوج لأي من الخيارين السابقين أن يتم اتخاذ القرار بشأن مستقبل السلطة بتوافق وطني، ووفق رؤية ودراسة شاملة للخيارين المشار إليهما.

رؤيـــــة
خالد مشعل

المشروع
الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

4

وخلال المقابلة طرح القائد الفلسطيني خالد مشعل كذلك جملة من الأفكار التأسيسية لصياغة مشروع وطني، يـرى الرجـل أن من شـأنه توحيد مختلف القوى والفصائل الفلسـطينية بمواجهة مـشروع الضم - وهو الأخطر باعتقاده - وصفقة القرن، والنهوض بالقضية الفلسـطينية عموماً.

وفي توصيفه للحظة الفلسـطينية الحالية أشـار مشـعل في معرض تشـخيصه للوضع الفلسطيني الراهن إلى أنه وضـع، بقـدر مـا يحمـل في ثناياه مـن تحديات ومخاطـر، يحمل في الوقت نفسـه فرصا حقيقية واعـدة، ملخصا التحديـات في نقـاط ثـلاث، أولها: تسـارع المشـاريع الاسرائيلية الأمريكيـة الرامية لتصفية القضية الفلسـطينية في سـياق مـا بـات يعرف (بصفقة القرن)، وذلـك من خلال فرض وقائع جديدة مثـل: الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيـل، ونقـل السـفارة الأمريكية لها، وتسريع الاسـتيطان، وضـم مزيد من أراضي الضفـة الغربية وشرعنة سرقتهـا بالغطاء الأمريكي..

وأما التحدي الثاني فيتمثل في غياب الفعل الفلسطيني المؤثر لمواجهة هذه الاجراءات في ظل الانقسام الفلسطيني الراهن، وذلك بالتزامن مع غياب القيادة الفلسـطينية الجامعة التي تملك الرؤية، والقدرة، والجاهزية للمخاطرة من أجل القضية الفلسطينية.

وتحد ثالث: متمثل بالاختلال الذي أصاب الحاضنة العربية والاسـلامية سـواء بانكفائها على ذاتها وانشـغالها بقضاياهـا المحليـة، أو باختراق اسرائيل لبعض الأنظمة العربية بالتطبيع معها.

أما فيما يتعلق بالفرص المتاحة فقد أوضح مشعل أن هذه الفرص تتمثل في:

أولاً: توحيد الصف الوطني الفلسطيني على أرضية المواجهة مع قرار الضم وصفقة القرن.

ثانياً: روح إضافية وانطلاقة جديدة لمسيرة المقاومة والنضال.

ثالثاً: تحويل إجراءات الاحتلال على الأرض إلى أداة استنزاف له.

رابعاً: لحظة تاريخية سانحة لتصويب صورة القضية الفلسطينية أمام العالم، وإعادتها إلى صورتها الحقيقية؛ كقضية تحرر وطني من الاحتلال، لا قضية تسويات ومفاوضات وخلاف على بعض التفاصيل.

خامساً: مزيد من تعميق عزلة الكيان الصهيوني دولياً وإنسانياً، في ظل تزايد الغضب والامتعاض من انتهاكاته وجرائمه ومصادمته لكل الأعراف والقوانين الدولية.

وحول الخطورة الاستثنائية لمشروع الضم، علاوة على الخطر الأساس المتمثل في الاحتلال نفسه، اعتبر مشعل أن خطورة عملية الضم تكمن في أن هذه العملية تسعى لشرعنة قضم الأرض الفلسطينية وسرقتها، ومن ثَمّ حصر الفلسطينيين في جغرافيا ضيقة غير متصلة داخليا ولا خارجيا، إذ تمثل المساحة المستهدفة بالضم (٣٠٪) من مجمل مساحة الضفة الغربية، علماً أن الأغوار وحدها تُمثل (٥٠٪) من أراضي الضفة الصالحة للزراعة، والتي تحتوي أبارا ارتوازية تعد أحد المصادر الرئيسة للمياه، ولذلك فإن مقاومة هذا المشروع تأتي في مقدمة الأولويات الفلسطينية في الوقت الراهن، دونما أن تؤثر على القضايا الرئيسة المتمثلة في تحرير الأرض، واستعادة القدس والمقدسات، وعودة اللاجئين الفلسطينيين، واطلاق سراح الأسرى في السجون الإسرائيلية، وإقامة الدولة الفلسطينية الحرة ذات السيادة الكاملة وعاصمتها القدس.

قدم خالد مشعل خلال اللقاء مجموعة من المقترحات والتصورات يمكن اعتبارها مرتكزات لمشروع تحرر وطني فلسطيني جامع تتلخص فيما يلي:

أولا: إعادة تعريف الثوابت والحقوق الوطنية الفلسطينية بما يضمن إجماع الكل الفلسطيني عليها والحيلولة دون التنازل عن أي منها.

ثانيا: إعادة بناء المؤسسات السياسية، ومرجعية القرار الوطني ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية، على أسس ديمقراطية حقيقية، بحيث تمثل جميع أبناء الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، وتشارك فيها مختلف القوى والفصائل والشخصيات الوطنية.

ثالثا: تبني برنامج نضالي ينطلق من كون الشعب الفلسطيني ما زال واقعاً تحت الاحتلال، بحيث يشمل هذا البرنامج كل أشكال المقاومة والنضال وعلى رأسها النضال المسلح، بما فيها المقاومة الشعبية بصورها المختلفة.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

وسـيرا عـلى المنهجيـة التوثيقيـة التـي يتبناها المنتـدى في كل ندواته وحواراتـه مع قادة الـرأي والمفكرين والسياسـيين وصناع القرار، قمنا بتفريغ وتحرير محتوى الحوار الخاص مع السـيد خالد مشعل، ونضع هذه الورقة بين أيدي القارئ الفلسـطيني والعربي، وكذلك بين أيدي صناع القرار والقيادات الوطنية الفلسـطينية والعربية وكل مهتم بالقضية الفلسـطينية.

كما يعتبر المنتدى هذه الوثيقة رؤية وطنية حقيقية للسـيد مشـعل تتضمن أفكارا محددة وعملية طرحها في سـياق محاولتـه تقديـم مـشروع وطني للتصدي للهجمة الصهيونية الشرسـة، ونرى أنها تسـتحق نقاشـا وطنيا موسـعا، وجلسـات عصف فكري يعمل المنتدى عـلى تنظيمها،عابرة للفصائـل والانتماءات والجغرافيا، وهـي الخصائـص التي يبدو أن السـيد مشـعل حرص أن يضمنها في مشروعه، الـذي يقول إنه مشروع وطني فلسـطيني جامع وليس مشروعا فصائليا ولا حزبيا، مشروع للداخل والخارج، ولكل فلسـطيني وفلسـطينية بغـض النظـر عن انتمائـه، أو معتقداته، أو فصيله ، أو موقعه.

أ. محمد أمـين

رئيس منتدى التفكير العربي - لندن

تفاصيل الرؤية

الناشر
منتدى التفكير العربي

قرار الضم

توقيته، أبعاده، مخاطره

حول المشـاورات الأمريكيـة الإسـرائيلية بشأن تنفيذ قرار الضم

• في إطار الحديث عن البرنامج الوطني لمواجهة قرار الضم، يأتي الاسـتهلال بهذا العنوان لأن الحدث المسـتجد المتعلق بتلك المشـاورات فرض نفسـه سياسـياً، وبالتالي لزم قراءته في السـياق قراءة دقيقة لا توقع صناع القرار في خطأ تقدير الموقف.

فمـا تحـاول بـه الإدارة الأمريكيـة هذه الأيام مـع الكيـان الصهيوني ليس لثنيهـم عن خطة الضـم، فالمصيبة بالأسـاس جاءت من واشـنطن - بصياغة إسرائيلية - تحت عناوين: صفقة القرن، ونقل السـفارة الأمريكية إلى القـدس، ثم مشروع الضم.

إنما الذي حاوله المبعوثون الأمريكان، خاصة في ظل بعض التباينات بين شركاء الحكومة الصهيونية (نتنياهو – غانتـس)، هـو الدفع باتجاه تأجيل التنفيذ بعض الوقت، وأن تتم خطوات الضم على مراحل وبالتقسـيط، وذلك لتحقيـق مصلحتـين لهـم: الأولى، التأثير على الانتخابات الأمريكية القادمة لصالـح الرئيس (ترامب)، المرتبك جرّاء ميل استطلاعات الرأي لصالح منافسه الديمقراطي (بايدن). والثانية، خديعة الفلسطينيين والعرب، عبر إيهامهم بالتراجـع عـن قـرار الضم، حتى يسـترخوا في ردود فعلهم وخطواتهم الغاضبة عليه، وذلـك لتمرير الخطوة بأقل قدر من التداعيات. وكذلك في محاولة منهم لتحييد موقف الأردن وإبعاده عن الموقف الفلسطيني، من خلال تأخير خطـوة ضم الأغوار، أي ألا يكون البدء بها، لا أكثر.

إذاً، هـذه الجهـود الأمريكيـة متعلقة بكيفية إخراج خطـوات الضم وإدارتها تكتيكيـاً، ومحاولة تمريرها علينا بالخديعـة والتضليل، وليسـت متعلقة بالتراجع عـن الخطوة أو التغيير في جوهرها.

لذلك من الضروري الاسـتمرار في حشـد جهودنا وطاقاتنا للمواجهة، وعدم الاسـترخاء أو التأخير في الفعاليات،

وأن نرسل لعدونا رسالة قوية بالفعل، كما فعلت غزة عبر صواريخها التحذيرية، والتي أعطت إشارة واضحة على جاهزية المقاومة. وهكذا يجب أن تكون الضفة، وجماهير شعبنا وقواه وقياداته في كل مكان في الداخل والخارج، أن يكونوا حاضرين في المشهد بقوة.

• بين الطرفين الأمريكي والإسرائيلي تباين بسـيط يتعلق بالإدارة التكتيكية لقرار الضم، وليس في أصل القرار. نتنياهو قلق؛ يخشى أن يسقط ترامب في الانتخابات، فيخسر حليفه الاستثنائي الذي دعمه بلا حدود. لذلك هو في عجلة من أمره، ويخشى في ذات الوقت مما قد يطرأ على الائتلاف الحكومي بينه وبين غانتس. كما أنه، في سـعيه الحثيث لتحقيق خطوات كبيرة على الأرض، يأمل أن تخرجه من استحقاق المحاكمة.

أمـا الإدارة الأمريكيـة، وهي المؤيدة بقوة للضم، ووفرت البيئة السياسـية والدعم المطلـق لنتنياهو، فهي تركز عـلى إدارة قـرار الضـم - توقيتـاً وتكتيكاً - بما يخدم ترامب في معركة الانتخابات، لا سـيما في ظل ما يعانيه من أزمات متلاحقة؛ الكورونا، والانقسام الحاد في المجتمع الأمريكي، وانتفاضة الحقوق المدنية للأمريكان السود، .. إلخ، وبما يخفف من تداعيات القرار وردود الفعل الفلسـطينية والعربية، ومحاولة التفريق بينها.

وحتى بالنسبة لنتنياهو وغانتس، فالخلاف بينهما في موضوع الضم تكتيكي وليس في أصل القرار وجوهره.

هـذه مخادعـة أمريكية يجب ألا نقع فيهـا، وألا نخطئ في تقدير الموقف، وأن تظل جاهزيتنا وفعالياتنا حاضرة بقوة لمواجهة القرار وإجراءات الاحتلال على الأرض.

حول طبيعة اللحظة الفلسـطينية الراهنة

• إذا أردت أن أصف اللحظة الفلسطينية الحالية، وأضع لها عنواناً، أقول إنها لحظة مثقلة بالتحديات والمخاطر العاصفة، ولكن تحمل في ثناياها فرصاً حقيقية واعدة.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

وهكـذا هــي الحياة؛ مزيج من المخاطر والآمال، ومن التحديات والفرص. وأصحاب القضايا والمشــاريع الكبرى عليهم أن يقرؤوا التحديات والمخاطر قراءة موضوعية لا رغائبية. وفي ذات الوقت، يستطيعون بإرادتهم وإيمانهم بعدالة قضيتهم وثقتهم بأنفسهم بعد ربهم، أن يجدوا فيها فرصاً كثيرة، ويترجموها على أرض الواقع.

وأبرز تلك التحديات والمخاطر ثلاثة:

التحـدي الأول: تسـارع المخططـات الإسرائيليـة الأمريكيـة لتصفية القضية الفلسـطينية، من خـلال عناوين مسـتجدة؛ كصفقـة القـرن، وقرار الضم، وإحـكام التهويد على القدس، إلى جانب المخططات والعناوين السـابقة.

التحدي الثاني: غياب الفعل الفلسطيني المؤثر، وغياب القيادة الجامعة التي تحمل مسؤولية قيادة هذه اللحظة التاريخيـة: برؤيـة واضحـة، وأدوات نضالية فاعلـة، وروح مقدامة مسـتعدة للمخاطرة من أجـل الوطن، فالرتابة والجمود والتقليدية والحسـابات الثقيلة لا تصلح للقيادة، لا سـيما تلك التي تقود شـعوبها نحو التحرير والتحرر.

التحدي الثالث: الاختلال الذي أصاب حاضنتنا العربية والإسلامية، سواء بالنزيف الدامي في كثير من ساحاتها، وأشـكال الانقسـام والاسـتقطاب والصراع بين أبنائها، أم بالاختراق التطبيعي الصهيوني لبعض دولها وقادتها ونخبها السياسية والفكرية.

وأما أهم الفرص التي تبرز في ثنايا تلك التحديات والمخاطر، ويمكننا العمل عليها، فهي:

أولاً: توحيد الصف الوطني الفلسطيني على أرضية المواجهة مع قرار الضم وصفقة القرن.

ثانياً: روح إضافية وانطلاقة جديدة لمسيرة المقاومة والنضال.

ثالثاً: تحويل إجراءات الاحتلال على الأرض إلى أداة استنزاف له.

رابعاً: لحظة تاريخية سانحة لتصويب صورة القضية الفلسطينية أمام العالم، وإعادتها إلى صورتها الحقيقية؛ كقضية تحرر وطني من الاحتلال، لا قضية تسويات ومفاوضات وخلاف على بعض التفاصيل.

خامساً: مزيد من تعميق عزلة الكيان الصهيوني دولياً وإنسانياً، في ظل تزايد الغضب والامتعاض من انتهاكاته وجرائمه ومصادمته لكل الأعراف والقوانين الدولية.

هـل الضم هو الأخطر على القضية الفلسـطينية؟

• **يبقـى الاحتـلال هـو أسـاس المشـكلة وجذرهـا. أمـا الضـم فهـو بـلا شـك بالـغ الخطـورة عـلى قضيتنا وشعبنا.**

فهو من حيث جوهره ومعناه: سرقة للأرض وتهجير للشـعب، وإحكام للسـيطرة على القدس وغلافها وتهويد مقدساتها.

ومـن حيـث دلالتـه ومغزاه: هـو شرعنة للاحتـلال والسرقة بغطـاء مزيف، فـإذا كانت المشـاريع والمخططات الإسرائيلية الأمريكية السابقة كرّست الاحتلال وسرّعت الاستيطان وأطلقت يد العدوان، فإن الضم يسعى لشرعنة كل ذلك!

وثمـة زاويـة ثالثـة في خطـورة القرار، وذلـك بالنظر إلى اسـتراتيجية العدو في السـيطرة على أكبر مسـاحة من الأرض، وتهجير العدد الأكبر من الشعب وحشره في أضيق مساحة من أرض الوطن، وما ينشأ عن ذلك من أزمات معيشـية واقتصادية واجتماعية وسياسـية، يراد منها في النهاية تهجير شـعبنا خارج الوطن، والقضاء على حلم التحرير والعودة والاستقلال.

على سبيل المثال؛ ضم الأغوار التي تمثل أكثر من ربع مساحة الضفة، ونصف مساحتها الزراعية، يعني حرمان شـعبنا من هذا المخزون المائي والزراعي الكبير، فضلاً عن أنه يهدف إلى عزل فلسـطين عن الأردن جغرافياً، ومن ثم سياسياً.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

كمـا أن خطـورة الضـم تتضاعف بالنظر إلى توقيته، حيث الانقسـام الفلسـطيني، وغياب الفعـل المقاوم المؤثر جرّاء ما تعرضت له الضفة من تجريف، وتجريم للمقاومة، وملاحقة رجالها وسـلاحها، والتنسـيق الأمني الذي طعنها في ظهرها، بل وحال دون انطلاق مقاومة شعبية حقيقية جادة ضد الاحتلال والاستيطان والتهويد، فجاء قرار الضم لتبدو الضفة في هذه اللحظة القاسـية أمام الكيان الصهيوني سـهلة الابتلاع! وليس بخاف في مسـألة التوقيت حال الحاضنة العربية والإسـلامية، وانشـغالها بهمومها وصراعاتها وانقساماتها، واستهدافها بتطبيع منظـم من المطبِّع والمطبَّع معـه، وإن كان جزئياً ومحدوداً، لكنّه اختراق خطير ومُدان.

• خطورة الضم لا تعني اختزال المشهد الفلسطيني فيه، فالعناوين الوطنية الرئيسة (تحرير الأرض، واستعادة القدس، وعودة اللاجئين) ليست غائبة عن أولوياتنا الفلسطينية، فتلك هي المكونات والرمزيات الأساسية للقضية، إلى جانـب تحريـر أسرانـا وتطهير مسرانا ومقدسـاتنا. هي عناوين كبـيرة لم تغب عن الرؤيـة والخطاب والفعل المقاوم للفصائل والقيادات، بل هي أسـاس برنامجها، وعلى رأس أجندتها وأولوياتها دائماً؛ من أجلها يخوضون المعارك، ويصعدون المقاومة، ويقدمون التضحيات من دمائهم وحرياتهم، ويصبرون على آلام الحصار والتضييق.

وانظر على سبيل المثال، كم بذلت المقاومة من جهود وتضحيات بهدف الإفراج عن الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال، باعتباره ملفاً وطنياً وهمّاً كبيراً لعامة أبناء شـعبنا، حيث الآلاف ما زالوا خلف القضبان، منهم نسـاء وأطفال ومرضى وكبار السن، ومئات عليهم أحكام مؤبدة. وبالتأكيد فإن صفقة وفاء الأحرار، التي لم تكن الأولى، لن تكون الأخيرة حتى يتحرر كل أولئك الأبطال بإذن الله.

حتـى في الخطـاب الرسـمي مـا زالت عناويـن: الأرض والقـدس واللاجئـين والأسرى حـاضرة، ولكنها تحتاج إلى إحـكام أكـبر في مفهومهـا ومدلولها، وإلى اسـتراتيجية وآليات فعل أكثر جدية ترقى إلى مسـتوى هذه العناوين وأهميتهـا وقداسـتها. فعلى سـبيل المثـال، من يتصـدى لقضايا بهذا الحجـم والأهمية لا يصح لـه أن يغيِّب عنها اسـتراتيجية المقاومة بكل أشـكالها، وامتلاك أوراق القـوة بكل أنواعها.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

• **الاحتلال الإسرائيلي يشــن علينا بقرار الضم جولة جديدة من الحرب، امتداداً لحروبه المســتمرة التي تستهدف أرضنا وشــعبنا ومقدســاتنا.** وواجبنا إزاء ذلك هو المواجهة والاشــتباك مع الاحتلال، والعمل على تحويل إجراءاته العدوانية إلى أداة استنزاف له، ورفع كلفة احتلاله وعدوانه. وبغير ذلك – لا سمح الله – نسهِّل المهمة على عدونا لتمرير مخططاته، ويغريه ذلك بالمزيد، ويتحول مع مرور الزمن إلى احتلال نظيف منخفض الكلفة.

والشــعوب الحرة، وشــعبنا الفلســطيني في طليعتها، لا تقبل إلا التمسك بحقها في مقاومة الاحتلال، وتقديم كل أشكال التضحيات التي تمكّنها من التخلص منه، وإجباره على الرحيل.

برنامج وطني فلسطيني
لمواجهة خطة الضم

محاور البرنامج

مخاطر الضم وأبعاده ودلالاته، خاصة في ظل اللحظة التاريخية التي تعبرها القضية الفلسطينية، تفرض علينا المبادرة الجادة للتوافق على برنامج وطني للمواجهة.

- وفيما يلي أبرز ملامح هذا البرنامج ومحاوره:

أولاً: أن تبادر القيادة الفلسطينية وقيادات وفصائل المقاومة معاً، بأخذ قرار واضح بالمواجهة المفتوحة مع الاحتلال رداً على قراره وإجراءاته بالضم. أي تحويل موقف الرفض المُجْمع عليه فلسطينياً إلى طاقة حركة، ومقاومة فعلية، ومواجهة مع الاحتلال على الأرض؛ ميدانياً وجماهيرياً وسياسياً ودبلوماسياً، وبكل الوسائل الممكنة.

وبذلك نكون قد أعطينا رسالة عملية واضحة وقوية أن رهاننا الحقيقي هو على خيار المقاومة ومواجهة الاحتلال واستنزافه وتعطيل إجراءاته ومخططاته، وأننا قد طوينا صفحة التسوية، التي استَنزَفنا بها العدوُّ دون طائل حقيقي، واستغلها غطاء لمزيد من الاستيطان والتهويد وسرقة الأراضي وتدمير المقدرات الفلسطينية. وهذا يعني أننا نقلنا التفكير الفلسطيني من مربع الانقسام وأسئلة السلطة، إلى مربع المواجهة وأسئلة الصراع، وهذه نقلة مهمة في التفكير والسلوك الفلسطيني في هذه اللحظة التاريخية المعقدة.

ثانياً: إعطاء رسالة الثقة والمصداقية والجدية عبر تنفيذ القرارات التي اتُّخِذت فلسطينياً على مدى السنوات والأشهر الأخيرة، وتحويل الأقوال إلى أفعال. وهذا يشمل قرارات وقف التنسيق الأمني مع الاحتلال، ووقف العمل بالاتفاقيات الموقعة معه، ومنها اتفاق باريس الاقتصادي، والعمل على تحرير الاقتصاد الفلسطيني من الارتهان للاحتلال، وإعادة بنائه ليكون اقتصاد صمود ومقاومة، لا اقتصاد سلطة شكلية، وغير ذلك من القرارات. وهذا المسار بالغ الأهمية من حيث تعزيز ثقة شعبنا بقياداته؛ بجديتها وقدرتها وتحملها للمسؤولية، لينطلق إلى العمل بكل ثقة واستمرارية وإبداع.

ثالثـاً: حشـد شـعبنا فـي مختلـف السـاحات وأماكـن وجـوده فـي الداخـل والخـارج خلـف هـذا الموقـف القـوي الموحـد، وتوجيهـه للنضال والعمـل بكافة البرامج والوسـائل المتاحة، كل حسـب ظرفه، من أجـل مواجهـة مخطط الضم وإسـقاطه. ولتكن اسـتراتيجيتنا في ذلـك: تحويل إجراءات العدو عـلى الأرض إلى أداة اسـتنزاف له، أي قلب السـحر على الساحر.

وفي هـذا الإطـار يتـم اشـتقاق برنامـج تفصيلي خاص بكل سـاحة ومنطقة ومـا تملكه من قـدرات وخيارات، فتتكامـل الجهـود وتتعانق نحو الهـدف الوطني العام.

- **الضفة**، على سـبيل المثال، وقلبها القدس، هي سـاحة المواجهة الأساسـية باعتبارها المستهدفة أساساً بقرار الضـم. لذلـك مـن الواجـب الوطنـي تثويرهـا في وجه الاحتـلال، بكل ما هـو متاح من أشـكال المقاومة الشـعبية الشـاملة والمتنوعة، والاشـتباك المباشر مع جنود الاحتلال ومسـتوطنيه وسـارقي الأرض. ومن ذلك الاعتصام في البـؤر والمناطق المسـتهدفة من الاحتلال بالضم، ومنهـا الأغوار، وإقامة خيام التضامـن، وتحويل إجراءات العدو إلى اسـتنزاف حقيقي له بالفعل. كما أن الضفة بحاجة إلى حضور سـياسي وجماهيري حقيقي، يعيد لها الحيوية والتأثـير، ويعـزز دورها الكبير المطلوب، خاصة في هـذه اللحظة التاريخية.

نعـم الضفـة تعانـي، ومثقلة بالجـراح والقيود، لكنهـا تقف على إرث نضـالي عظيم، وتملك مخزونـاً كبيراً من الإرادة والطاقة والإبداع، وسِجِلُّها شاهد على ذلك من خلال عدد كبير من الانتفاضات والهبات والمواجهات، ومنها المواجهـة التـي أجبرت الاحتلال على التراجع عن وضع البوابات الإلكترونية عند أبواب المسـجد الأقصى المبارك.

لا بد من إطلاق الضفة من عقالها، وجعلها عقدة في وجه الاحتلال، لا ساحة سهلة منهكة.

- غـزة، حيـث عظمة المقاومـة وإبداعها، والتي هي بالفعـل درع الوطن وحامي الديـار. والمقاومة كانت دائماً موضـع الرهـان والثقة، وتُعلَّق عليها الآمال. غزة جزء أسـاس من هذه المعركـة، ولم تغب يوماً عن واجبها.

والحديث عن دور غزة في برنامج المقاومة بصورة عامة، وهذه المواجهة بصورة خاصة، يمكن أن يكون من أربع زوايا:

الأولى: الدفاع عن الشعب والأرض والإرادة السياسية في مواجهة الاعتداءات والحروب الإسرائيلية وعقوباتها وحصارها. الثانية: دورها المنهجي في مشروع التحرير بالتكامل مع الجبهات الفلسطينية الأخرى، بما تملكه المقاومة في غزة من قدرات وخيارات وآفاق متعددة. الثالثة: مستودع الخبرة والتجربة، والذُّخر والرصيد، الذي يعطي جبهات المقاومة الفلسطينية المتعددة ما يلزم من القدرات والخبرات والإمكانات، والفكر العسكري المتطور الذي صقلته الحروب والمواجهات الشرسة. الرابعة: مواجهة قرار الضم بجملة من الخطوات العسكرية الميدانية المختارة بعناية في أساليبها وأدواتها وتكتيكاتها، إلى جانب الفعاليات الشعبية ومسيرات العودة، والطائرات والبالونات الحارقة، .. إلخ.

- **شعبنا في الأراضي المحتلة عام 1948**، بما يملكه من موقع خاص ومهم في خريطة المواجهة، ومن خبرات وأدوار متميزة لا غنى عنها، وبما يتمتع به من روح وطنية عميقة انتصر بها على الأسرلة، وظل منحازاً لعروبته وانتمائه لوطنه وشعبه، وخاض العديد من المواجهات مع الاحتلال في سبيل ذلك، ودفاعاً عن أرضه وتجذره فيها، ورفض الترحيل عنها. هو اليوم شريك رئيس في المواجهة، خاصة أنه كان وما زال مستهدفاً بمخطط الضم، وسرقة الأرض، وتهجير الشعب عنها.

وخياراته في المواجهة متعددة؛ في مقدمتها معركة الدفاع عن الأرض، وله فيها تاريخ مجيد منذ يوم الأرض عام ١٩٧٦، والوقوف في وجه التهجير، الذي هو الخطوة التالية للضم، والاستراتيجية الصهيونية الدائمة. فضلاً عن دورهم الكبير والمؤثر في الدفاع عن القدس والمسجد الأقصى المبارك، وتعزيز الوجود والحضور الفلسطيني فيها، وخوض معركتها بكل أبعادها الوطنية والدينية والسياسية والرمزية. وشكلوا كذلك على الدوام عمقاً وامتداداً يوفر ما يحتاجه أهلنا في القدس والضفة من مشاركة وتضامن وإسناد في اللحظات الصعبة.

- **شعبنا في الخارج**، في مخيماته وأماكن لجوئه ووجوده الممتد، صاحب إرث عظيم في النضال منذ عقود طويلة، ويملك الكثير من القدرات والخيارات على مدى العالم، والعديد من المنصات والأطر التنظيمية والشعبية والنقابية، كالمؤتمر الشعبي لفلسطينيي الخارج وغيره، فضلاً عن جالياته الفاعلة في مختلف القارات، ولها تأثيرها وعلاقاتها وتجاربها الناجحة في العمل للقضية، ويستطيع حشدها جميعاً في مواجهة قرار الضم.

ومن ذلك الفعاليات الجماهيرية والإعلامية والسياسية، والاعتصام أمام السفارات والقنصليات الإسرائيلية، والعمل مع أحرار العالم لصالحنا، وغير ذلك من أشكال النضال المتاحة حسب كل ساحة، خاصة الدور التاريخي والمتواصل للمخيمات في دول الطوق، بما تمثله من رمزية ومخزون بشري وحضور قويّ لقضية اللاجئين وحق العودة.

رابعاً: التحرك على المستوى العربي والإسلامي رسمياً وشعبياً، والعمل على حشد الأمة حول قضيتنا من جديد، من خلال معركة مواجهة الضم. ولا شك أن تحركنا هذا، حين يصدر عن موقف فلسطيني موحد وفاعل على الأرض، سيمتلك فرصة أكبر لتغيير المزاج في المنطقة، وإعادة تظهير القضية الفلسطينية على رأس أولويات الأمة واهتماماتها، كما كانت من قبل، ومحاصرة بؤر الاختراق الصهيوني وإضعافها وعزلها، ومن ثم تحريك مشاعر الأمة وقناعاتها الحقيقية نحو القضية، وتعزيز ثقتهم بهذه الاستراتيجية الفلسطينية الجادة وقادتها والقائمين عليها.

الأمة بشعوبها وقواها ونخبها مشغولة – بوجه عام – بهمومها وقضاياها المستجدة، ومستنزفة بصراعات ميدانية وسياسية وفكرية، ومع ذلك فما زالت لفلسطين مكانتها الراسخة في ضميرها وعقلها. التحدي اليوم: كيف نحرّك هذه المكانة، ونبعث فيها روحاً جديدة. هذا ممكن، بل وضروري، ومفتاحه: الفعل لا الكلام، واستعادة الثقة لا اللوم والعتاب، وأن نحرك قضيتنا ميدانياً وسياسياً بروح جديدة تفرض نفسها على الجميع، وتُظهر الوجه القبيح للكيان الصهيوني على حقيقته؛ محتلاً قاتلاً سارقاً، لا مفاوضاً أو شريكاً في سلام موهوم.

خامساً: التحرك على الساحة الإقليمية والدولية، بموقف فلسطيني موحد، وخطاب موحد، ودبلوماسية موحدة، لنضع قضيتنا الفلسطينية أمام العالم في صورتها الحقيقية؛ قضية تحرر من الاحتلال بعيداً عن أكذوبة التسوية والمفاوضات، أي نصحح مسار القضية وصورتها الذهنية لدى الشعوب والأمم والحكومات، ونكسب المزيد من الأنصار والمؤيدين والشركاء في معركتنا العادلة. ثم ننطلق إلى معركة نزع الشرعية عن الكيان الصهيوني، ومحاصرته ومحاكمته وملاحقته في مختلف الساحات والمنابر والمحافل الدولية.

• **ماذا نملك إزاء هذا البرنامج الذي يبدو مرتفع السقف؟**

نملك الكثير، ومن ذلك:

- شعب عظيم، لم ينكسر ولم يستسلم. متمسك بأرضه وحقوقه وعدالة قضيته. ما زال يقاوم منذ مائة عام، ولديه مخزون هائل من العطاء والقدرة والإبداع والإصرار، ويقف بفضل الله على تجربة طويلة وغنية لا يكاد يملكها شعب آخر.

- مقاومة مبدعة، خاصة تجربتها الراهنة في قطاع غزة، استطاعت أن تبني نفسها، وتُصنِّع سلاحها، وتطِّور فكرها العسكري، رغم ظروف الحصار وتجفيف الينابيع، وغياب العوامل الموضوعية التقليدية التي اعتادت أن تعمل في ظلها حركات التحرر في العالم.

والضفة حين نطلق لها العنان ستقدم تجربة كبيرة أخرى في فعل المقاومة وإبداعها، وإجبار الاحتلال على الرحيل. وما تملكه من تاريخ ورصيد وتجربة طويلة يؤكد الثقة بذلك.

وشعبنا في أماكن وجوده المتعددة يستطيع أن يبدع في اشتقاق أشكال المقاومة المناسبة.

- أمة أصيلة، حتى وهي مستنزفة ومثخنة بالجراح لم ولن تنسى فلسطين، رغم محاولات البعض تصدير نخب فاسدة للواجهة، تأمل أن ترى إسرائيل «شريكاً لا عدواً»، وجزءاً من الحل، لا أساسَ المشكلة وجوهرَها.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

الأمة هي حاضنتنا وعمقنا، وشريكنا الحقيقي في الصراع، بكل ما تمثله القدس وفلسطين لها: دينياً وسياسياً وتاريخياً ووجدانياً، وما يشكله الكيان الصهيوني من مخاطر وتحديات لأمنها ومصالحها.

استعادة دور الأمة وشراكتها وزخمها في الصراع أولوية أساسية وممكنة. ولكل باب مفتاح، وفعل، ولغة خطاب، واستحضارٌ لأرضية الشراكة والمعركة الواحدة.

- ساحة دولية بدأت تتململ من الوقاحة والعربدة الإسرائيلية، وتضيق ذرعاً بهذا الكيان المحتل الذي بات عبئاً أخلاقياً وسياسياً عليها.

نعم هناك الولايات المتحدة الأمريكية، ودول أخرى، ما زالت تدعم الكيان الصهيوني بلا حدود. لكن الضيق بممارسات هذا الكيان المحتل وعربدته وجرائمه بدأ يزداد على الساحة الدولية؛ على مستوى حكومات، وبرلمانات، ونخب سياسية وصحفية وفكرية وأكاديمية. والكيان الصهيوني أصبح أكثر قلقاً بسبب ذلك، خاصة من تنامي دعوات المقاطعة له في الساحة الدولية.

التركيز على البعد الإنساني للصراع، والعمل على قطع الحبل السُرّي الدولي عن المحتل الإسرائيلي، لبنةٌ أساسيةٌ في استراتيجيتنا العامة للتحرير والتخلص من الاحتلال، واستراتيجيتنا الخاصة اليوم لمواجهة قرار الضم وصفقة القرن.

بيت القصيد فيما سبق: كيف نستثمر ما نملك، ونفعِّله بالطريقة الصحيحة، وبالاتجاه الصحيح، ونحو الهدف الكبير الصريح. ومعلوم أن العالَمَ لا ينتصر لمن لا ينتصر لنفسه، وحتى ينتصر الآخرون لنا، لا بد أن ننتصر لأنفسنا أولاً. والطريق إلى ذلك باختصار: قيادة، ورؤية، وبرنامج نضالي وسياسي، ... على مستوى أهدافنا الوطنية الكبيرة.

• أما عن موازين القوى، وهل تعمل لصالح فلسطين أم لصالح الاحتلال الإسرائيلي؟

فإن موازين القوى لم تكن يوماً في التاريخ مع الشعوب في مواجهة القوى الاستعمارية. فتلك القوى الاحتلالية والاستيطانية كانت أقوى من الشعوب التي احتلتها واعتدت عليها، ومع ذلك هزمتها الشعوب وانتصرت عليها في نهاية المطاف، كالشعب الجزائري في ثورته العظيمة، والشعب الفيتنامي، وشعب جنوب أفريقيا، والشعوب العربية والإسلامية التي تحررت من المستعمرين بعد ثورات وتضحيات مريرة.

الشعوب التي سعت للتحرر بجدية وشجاعة انتصرت. معنى ذلك أن موازين القوى ليست هي الحاكمة وحدها في هذه الحالات، وإن كانت مهمة ويجب قراءتها بدقة، والتعامل مع اختلالها بجدية وعقل وكفاءة وإبداع.

أنا مع الواقعية، لكن الواقعية الثورية، وليست الواقعية العاجزة. بمعنى أن نقرأ موازين القوى بموضوعية، ونعمل على تحسينها وتغييرها بالمقياس النسبي والنوعي لصالحنا، وليس بالتساوي الحسابي بالضرورة. على سبيل المثال، هل كانت غزة ومعها المقاومة في الضفة وكل فلسطين، أقوى من الاحتلال الإسرائيلي عندما أجبرت شارون على الانسحاب من القطاع وتفكيك مستوطناته؟! بالتأكيد لم نكن أقوى عسكرياً، لكن أي صراع تحكمه عوامل كثيرة معقدة، خاصة عندما يكون بين شعب حر ومحتل دخيل، وبين صاحب أرض ولص سارق قاتل أتانا من وراء البحار.

• بالنسبة للوضع العربي، ومحاولات البعض التطبيع مع الكيان الصهيوني، فإنها رغم خطورتها وإدانتها، لا تقلل من أصالة الحاضنة العربية الإسلامية، وقيمتها بالنسبة لنا في الصراع مع الاحتلال.

نعم، كانت حالات التطبيع سابقاً فردية ومبعثرة، واليوم باتت موجهة ومدعومة بشكل فاضح من بعض الحكومات والنخب. كان العرب عموماً يضحون من أجل فلسطين، وبات بعضهم اليوم يسعى للتضحية بفلسطين من أجل أجنداتهم الخاصة. وعمل بعضهم على التماهي مع صفقة القرن ولو بالسر، على أمل أن يحملوا

الفلسـطينيين وبقية العرب عليها. ثم اكتشـفوا أنهم لا يسـتطيعون ذلك، لا بتوفير غطاء فلسطيني للصفقة، ولا بحشـد موقف عربي داعم لها.

التطبيـع، عـلى الرغـم مـن الجهود الكبـيرة التي تقـف خلفه، وبعـد عقود طويلة مـن محـاولات فرضه كأمر واقـع، لـم يرتق حتـى ليكون ظاهرة، بل هـو حالة مرتبطة ببعض النخـب المعزولة المصنوعـة والمخترقة فكرياً، والسـاعية وراء الشـهرة والمطامـع. وظـل التطبيـع في الحقيقـة منبـوذاً ومرفوضاً مـن غالبية الأمـة، ولم ولن يتحـول إلى جـذر اجتماعـي لـه امتـداده الفكـري والسـياسي في المنطقـة. فالخـير في الأمـة كبير وأصيـل وعميق. انظـر إلى لجـان مقاومـة التطبيـع في العالـم العربي والإسـلامي، وإلى رموز الأمـة التي وقفت ضـد التطبيع بكل شـجاعة؛ مـن قـادة وزعمـاء، ورؤسـاء وأعضـاء برلمانات، وكتّـاب وصحفيـين، ورياضيـين رفضـوا أن يقابلوا رياضيـين إسرائيليـين في المحافـل الدولية، ... إلخ. هناك سـجل شرف عريض في الأمة لرفـض التطبيع ومقاومته. وهنـاك في المقابـل سـجل عـار محشـور في زاويـة التاريـخ لبعض المطبعين. لكن سـجل الـشرف في الصـدارة كماً ونوعاً، وقيمة ومكانة.

• **انشـغال شـعوب الأمـة بنفسـها هـذه الأيـام لا يعنـي أنهـا فقـدت اهتمامهـا بفلسـطين، أو أن قضيـة القـدس تراجعـت أولويتهـا لديهـا.**

أنا اتفهم واقع الأمة الصعب. الشعوب عندما يُفرض عليها القمع ونزيف الدم ومصادرة حقوقها، لا ألومها إذا انشغلت بهمومها وقضاياها. بل أقول لهم: أنتم أهلنا، ونحن مع حقوقكم وتطلعاتكم في الحرية والعدالة ولقمة العيش الكريمة. نحن مع أمتنا كما هي معنا.

ولكـن نقـول لهـم: حـذار أن تظنوا أن خطـر الكيان الصهيونـي بعيد عنكـم، أو أن يظن البعـض القليل أن هذا الكيان نصير لقضاياكم، أو أنه جزء من الحل لأزمات المنطقة. إنه أسـاس المشـكلة، والعدو المركزي للأمة، ومنبع الكثـير مـن أزماتهـا، ووجوده في قلب الأمة ما زال يشـكل الخطر الأكـبر عليها؛ على أمنهـا ومصالحها ووحدتها

وانبعـاث نهضتهـا. بل إنه مـن أهم العوامل التي أطالت جراحكم، وحالت دون نجاحكم في تحقيق أهداف نضالكم وتضحياتكم.

كما نقول لإخواننا من شـعوب أمتنا: حافظوا على وحدة أوطانكم، ووحدة شـعوبكم، وأنتم تسـعون لمطالبكم المشروعة في الحرية والعدالة والكرامة والديمقراطية. وارتفعوا عن الاستقطابات والنزاعات ذات الطبيعة العرقية والطائفيـة، فذلـك لا يخـدم أمتنا، بل يخدم أعداءهـا الذين يعنيهم تمزيق أمتنا وتفتيت أوطانها وشـعوبها، حتى وإن بـدا أن بعضهـم ينـاصر مطالب الشـعوب، ولكنهم في الحقيقة يطيلـون نزيفها، وينـاصرون عملياً الجلادين والمتسلطين على رقابها.

مع كل ذلك، وما تعانيه شعوب الأمة من جراح غائرة، فإنك ما إنْ تجد تصعيداً أو عدواناً على غزة، أو استهدافاً للقدس والمسجد الأقصى، أو أي حدث ساخن في فلسطين، إلا وترى هذه الشعوب العربية والإسلامية تنسى جراحها، وتنتفض من أجل فلسطين ونصرة شعبها المقاوم، ويعود هتاف فلسطين إلى ساحاتها وميادينها، وهذا دليل أصالتها وعمق مكانة فلسطين لديها.

لذلـك، مسـؤوليتنا أن نواصـل معركتنـا العادلة ضد الاحتلال، ونُبقـي قضيتنا حية وحـاضرة، وعندها تنصرنا الأمـة وتتوحـد حولنـا، ويـزداد العالم الحـر تأييدا لنـا، وانفضاضاً عن إسرائيل التـي تعد أيامها بـإذن الله، فبعد هـذا العلـو سـيأتي التراجـع والسـقوط، فتلـك سـنة الله العادلـة في حياة الشـعوب والأمـم. وطالما هـي ناضلت وضحت وواصلت مسـيرة التحرير والحرية والاسـتقلال، فإنها ستنتصر حتماً، وتحقق أهدافها، وتستعيد أرضها وحقوقها، بإذن الله.

• **هـذا لا يعنـي أننـا نسـتهين بعدونـا، فالمقـاوم الجـاد لا يسـتخف بأعدائـه**. ونحن ندرك جيـداً، وعلى أرض الواقع، قوة عدونا العسكرية والأمنية والتكنولوجية، وارتباطه بمصالح متشابكة مع دول كبرى في العالم، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أننـــا – رغـــم ذلـــك – نســـتطيع أن نـــرى بجـــلاء جملـــة مـــن الشـــواهد علـــى تراجـــع المشـــروع الصهيونـــي. مـــن ذلـــك:

- التوسع والتمدد كان أحد أهم سياسات الكيان الصهيوني، لكنه تحت ضغط المقاومة والانتفاضات المتلاحقة التي اســتنزفته، اضطر إلى التراجع والانكماش، فانســحب من قطاع غزة، كما انســحب من قبل من جنوب لبنان، وبنى الجُدُر العازلة في الضفة وفي أكثر من مكان.

- وكان من اســتراتيجيته الأساســية خوض حروبه على أرض العدو، وها هو اليوم ومنذ ســنوات يخوضها في الداخل، الذي هو وطننا السليب، ولم يَعُد في منأى ولا مأمن من قصف عمقه بصواريخ المقاومة وطائراتها المسيّرة.

- اعتاد الكيان المحتل على محاربة الجيوش العربية، وبنى جيشــه واســتراتيجيته العســكرية على أســاس ذلك، وطالمــا افتخــر بقدرتــه على هزيمة تلك الجيوش، إلا من اســتثناءات قليلة معروفة. لكنه اليوم مرهق ومســتنزف بنمط جديد، هو المقاومة، التي أربكت حســاباته واســتراتيجياته، وأفقدت جيشــه القدرة على الانتصار منذ عقود طويلة، رغم كثــرة المعارك التي خاضها ضد المقاومة.

وهذا بالغ الأهمية، لأنه متعلق باســتراتيجية فرض الهزيمة النفســية على العدو، وتيئيســه من الانتصار علينا، وهز ثقة قادته وجنوده بأنفســهم في مواجهة أبطال المقاومة وشــجعانها ومبدعيها وحاضنتها الشعبية.

- حتــى حــين عمــل العدو الصهيونــي على حصار المقاومــة، وتجفيف ينابيعهــا، وقطع الســلاح والإمداد عنها، وحرمانهــا مــن ســاحات العمق والمدد والإيــواء، وهي العوامــل التقليدية التي كانت شروطاً موضوعية أساســية لنجــاح الثــورات وحــركات التحرر في العالم، فوجئ العدو أن المقاومة الفلســطينية تغلبت على ذلك، وتكيفت معه، وصنّعت ســلاحها وصواريخها، وطوّرت قدراتها وخبراتها ورؤيتها العســكرية، واســتطاعت بفضل الله أن تعمل بكفــاءة لافتــة في أصعــب الظروف، ما فاقم كثيراً مــن أزمات الاحتلال، وضَرَبَ جبهتــه الداخلية ونظريته الأمنية وروحه المعنوية.

- مـن إنجـازات المقاومة الفلسـطينية على هذا الصعيـد كذلك، أنها عرّت إسرائيل أمام العالم، وكشـفت وجهها القبيـح عـلى حقيقته، وهشّـمت صورتهـا التي خدعت بهـا العالم مدة طويلـة كواحة للديمقراطيـة في الصحراء العربيـة، وأنهـا تملك ذات القيم التي يؤمـن به العالم الحر!!

وهنا، ولو في سـياق آخر، يلزم إبراز الفارق الكبير بين الأثر الإيجابي للمقاومة والانتفاضة والمواجهة الشـعبية مع الاحتلال، وهو أثر يصب لصالحنا ويظهر صورة عدونا الحقيقية كقاتل ومجرم ومنتهك لكل القيم والأعراف، فضـلاً عـن أثرهـا – أي المقاومة – في اسـتنزاف الاحتلال، وإجباره عـلى التراجع. وبين الأثر السـلبي للمفاوضات والتسويات في تجميل صورة العدو، وتقديمه للعالم كشريك وصانع سلام، فضلاً عن عجز المفاوضات عن تحقيق أي إنجاز معتبر لصالحنا، بل إن الكيان المحتل اسـتغله غطاءً لفرض المزيد من الأمر الواقع، بالاسـتيطان والضم وسرقة الأرض، وتهويد القدس وتغيير معالمها وانتهاك مقدساتها، وحصار غزة والعدوان عليها، وتقطيع أوصال الضفة وزرعها بالمستوطنات، والإمعان في سياسة التهجير، والعمل على تغيير المعادلة الديمغرافية.

- ثمـة شـاهد آخر عـلى تراجع الكيـان الصهيوني واهتزاز صورته، وهو عمق الانقسـام السـياسي والمجتمعي فيـه، وتشـظي أحزابه وقواه السياسـية، واشـتداد الصراع عـلى الحكم بينهـم، وتفشي الفسـاد في قادته ونخبه، وتكرار الانتخابات في فترة قصيرة لصعوبة تشكيل ائتلافاته الحكومية. علاوة على تراجع روح القتال عند جنوده ومنتسـبيه، مقابل إرادة المقاوم الفلسـطيني المتفوقة، رغم فارق القدرات والإمكانات العسـكرية.

حول المشـروع الوطني الفلسطيني
وكيف نعيد بناءه؟

مدخل تاريخي

حتـى نعلـم حجم المشـكلة التي نعانـي منها اليوم بغيـاب المشروع الوطني الفلسـطيني الجامـع، وهذا الفراغ المتعلـق بـه، لا بـد من العودة إلى الماضي القريب حـين كان هناك مشروع وطني متفق ومتعارف عليه فلسـطينياً، دون كثـير خلاف أو تنازع حوله.

فمنـذ نشـأ العمـل الفدائي في السـتينيات، ثم دخلـت فصائله في بوتقة منظمـة التحرير الفلسـطينية عام ١٩٦٩، وتصدرت قيادتَها ومؤسساتِها وأُطرَها التنظيمية والشعبية، توافرت آنذاك العناصر اللازمة لبناء المشروع الوطني، وتشكيل صورته، واجتماع العاملين للقضية عليه، وتوافقهم على رؤيته وأهدافه وتعريف الحقوق والثوابت الوطنية، وعلى برنامجه النضالي والسياسي، ثم على مرجعية القرار ومؤسساته القيادية وكيفية تشكيلها وانتخابها.

وكانت حينئذ صورة معقولة للمشروع الوطني الفلسـطيني، قد لا ترضي الجميع بكل ما يريدون، لكنها توفر حداً كافياً للتراضي والقبول، والشـعور بالشراكة في المسـؤولية والقرار، والانخراط في المؤسسات القيادية.

ولم يكن وقتها ثمة خلاف أو تباين حول الحقوق والثوابت الوطنية، فالجميع مع تحرير فلسطين من البحر إلى النهر، ولا حول الوسائل والآليات ومحورية المقاومة والعمل الفدائي المسلح في البرنامج النضالي والسياسي. نعم، اختلفـوا على بعض أشـكاله كخطـف الطائرات، لكن لم يختلفوا على أصل البرنامج، أي الكفاح المسـلح والمقاومة بكل أشكالها.

وحـين بـدأ الخـلاف على بعض الأطروحات السياسـية الجديدة، مثل برنامج النقاط العـشر عام ١٩٧٤، وغيرها لاحقاً، تشكلت جبهة الرفض الفلسطينية، وكانت بعض فصائلها تعلِّق حضورها في المؤسسات القيادية، ثم تعود إليها، وهكذا. ولكن في جميع الأحوال ظل هناك ما يجمع الجميع، فمساحة الخلاف كانت أقل من مساحة الاتفاق، وكانت خيمة المشروع الوطني تظلل الجميع وتستوعبهم.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

لكن، ومنذ اتفاق أوسلو والمقدمات التي سبقته بسنوات، نشأ انقسام سياسي حاد وواسع في الساحة الفلسطينية، وغاب حينها المشروع الوطني الجامع. فالاختلاف على أوسلو والنهج السياسي الجديد الذي شّكل فلسفته وقاد إليه، كرّس تبايناً وانقساماً صارخين حول المشروع الوطني الفلسطيني؛ حول رؤيته السياسية وتعريف الحقوق والثوابت الوطنية، وحول البرنامج النضالي المقاوم وأدواته، كما انعكست سلباً على الثقة بالمؤسسات القيادية، ومرجعيات القرار، وطريقة اتخاذ القرار الوطني في المسائل الكبرى، ودَفَع الكثيرين للغياب عن تلك المؤسسات، فضلاً عن غياب حركتي حماس والجهاد الإسلامي من الأساس، وهما اللتان منذ نشأتهما لم تجدا فرصة حقيقية وموضوعية للانخراط فيها.

ومنذ ذلك الوقت غاب المشروع الوطني الفلسطيني الجامع، وتكرس الانقسام فلسطينياً – حتى قبل أحداث ٢٠٠٧ – حول كثير من العناوين والأسئلة الوطنية الرئيسة.

• **أرى أن مشكلاتنا اليوم في غالبها نابعة من غياب هذا المشروع الوطني الجامع والواضح في أذهان القوى والقيادات وعموم جماهير شعبنا ونخبه السياسية والفكرية.**

ولذلك، فإن سؤال المشروع الوطني ينبغي أن يكون اليوم على رأس أجندتنا وأولوياتنا. فالوصول إليه والتوافق عليه يوفر بيئة وأرضية حقيقية لحل الكثير من خلافاتنا، وبناء وحدتنا الوطنية، ومؤسساتنا القيادية، وتحقيق الشراكة الفعلية في النضال والقرار وفق رؤية سياسية ونضالية يتوافق عليها الجميع.

وهو ما من شأنه دفع قضيتنا الفلسطينية إلى الأمام، ومدها بزخم جديد؛ من الروح، والرؤية، والقوة، والثقة، والهيبة.

• **الأولوية اليوم، إذاً، هي أن نضع هذه المسألة بصورة جادة على طاولة الحوار والاتفاق بيننا، لنعيد الاعتبار للمشروع الوطني، ونعمل سويّاً على بنائه بعناصره ومكوناته الأساسية.**

المشروع
الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

مكونات المشـروع الوطني الفلسطينـي
رؤيـة لإعادة البنـاء

أولاً: إعـادة تحديـد وتعريـف الثوابـت والحقـوق والأهـداف الوطنيـة الفلسـطينية، وفـي مقدمتهـا بالطبـع قضايـا: الأرض، القـدس، حـق العـودة، ... إلـخ.

ولا يصح أن تكون اجتهادات البعض فيما مضى، تحت عناوين الضرورة والحاجة إلى برامج مرحلية، والتي قادتهم إلى مسار طويل مُضنٍ من المفاوضات والتسويات والمبادرات والتراجعات، أن تصبح أساساً أو مرجعاً لإلغاء الرؤية الأصلية للقضية، والإخلال بحقوق شعبنا وثوابته الوطنية، وأن نختلف اليوم حول تعريف أرضنا وحقوقنا وأهدافنا، وحدود وطننا السليب، ونلوي عنق التاريخ والجغرافيا والحقائق قريبة العهد، خاصة في الوقت الذي أدار العدو ظهره لكل الاتفاقيات والمعاهدات، وقتل حل الدولتين كما يسمونه، ولم يبق سلام ولا تسويات، وتسارعت خطواته لفرض رؤيته الصهيونية الكاملة!!

ثانيـاً: اعتمـاد برنامـج نضالـي مقـاوم ميدانيـاً وسياسـياً، بمسـتوى قضيتنـا، وقـادر علـى إنجـاز حقوقنـا وتحقيـق أهدافنـا الوطنيـة.

ولأن قضيتنـا قضيـة تحـرر وطني من الاحتلال، وعناوينهـا الكبرى تحرير الأرض، واسـتعادة القدس، وعودة اللاجئين، وتحرير الأسرى، وتحقيق الاستقلال، وإقامة دولتنا ذات السيادة الكاملة على أرض الوطن، فإن المقاومة بكل أشـكالها لا بد أن تكون هي أسـاس البرنامج، إلى جانب العمل والتحرك في مختلف المجالات والميادين الأخرى؛ السياسية والدبلوماسية والجماهيرية والإعلامية والثقافية والقانونية، ...، حتى يكون برنامجنا النضالي والسياسي على مستوى الأهداف والثوابت والحقوق.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

وفي ظل وحدة الرؤية والبرنامج والقرار، نستطيع أن ندير مقاومتنا للاحتلال بطريقة ذكية وشجاعة، تُعظِّم من نتائجها وإنجازاتها، وتأثيرها على العدو، وذلك من خلال تنويع وسائلها وأدواتها، والمراوحة بين أشكالها وأنماطها المسلحة والشعبية حسب الزمان والمكان وتقدير الحالة والمرحلة. وتاريخنا الفلسطيني حافل بهذا التنوع، والذكاء في التجديد والإبداع، ومفاجأة العدو بأشكال نضالية جديدة؛ من ثورات، وانتفاضات، وعمل فدائي، ومقاومة مسلحة، ومواجهات شعبية، حتى وصلنا إلى مرحلة بناء قاعدة راسخة للمقاومة وصناعة سلاحها في غزة، تمثل نواة لجيش فلسطيني حقيقي، هو عدةُ التحرير وذُخرُ المستقبل.

ثالثاً: إعادة بناء المؤسسات القيادية، ومرجعية القرار، على أسس ديمقراطية حقيقية، وعلى قاعدة الشراكة الوطنية بين جميع القوى والمكونات الفلسطينية.

والأساس في ذلك هو منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها المعنية بشعبنا في الداخل والخارج، والوعاء القادر على جمع كل قواه ومكوناته وشخصياته وجماهيره.

ويشمل ذلك بالطبع موضوع السلطة الفلسطينية، وإعادة توحيد مؤسساتها، والاتفاق على مستقبلها ووظيفتها ومسؤولياتها.

وفي إطار هذه الرؤية القائمة على الشراكة في المؤسسات القيادية، وإعادة بنائها بروح ديمقراطية توافقية، لا بد من استعادة الدور الحقيقي لمنظمة التحرير الفلسطينية في قيادة المشروع الوطني، ورسم الرؤية وصناعة القرار وإدارة الصراع، وتجاوز حالة التهميش الراهنة التي غيّبت المنظمة إلا من حضور نادر وباهت، أو عند الحاجة إلى وضع ختمها على الاتفاقيات لإسباغ شرعية ما عليها.

• **تركيزنا على أولوية بناء المشروع الوطني والتوافق عليه، لا يعني الانشغال عن معركتنا الراهنة الكبيرة في مواجهة قرار الضم ومخاطر صفقة القرن وتداعياتها،** فهي أولوية اللحظة في الزمان والمكان، وتستوجب احتشاد الجميع على أرضيتها، وخوض المواجهة المفتوحة مع الاحتلال.

رؤيـــــة

خالد مشعل

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

ونستطيع في ذات الوقت، أن نتابع جهودنا للوصول إلى رؤية مشتركة حول المشروع الوطني. ولعل ذلك هو الوقت الأنسب واللحظة المواتية. فالمشاريع الكبيرة تحتاج في الغالب إلى أجواء ساخنة تساعد على إنضاجها، خاصة في ظل معركة مفتوحة مع الاحتلال؛ تُذكي الروح الوطنية، وتعزز الوحدة الداخلية، وتكرّس الشراكة النضالية واستشعار المخاطر والتحديات المشتركة.

كما أن الدخول في أجواء الحوار والتوافق على المشروع الوطني، في الوقت الذي نخوض معاً المواجهة ضد قرار الضم، يحفّزنا جميعاً لاستدعاء الأسئلة الكبيرة المتعلقة بعناصره الثلاثة؛ فيكون حاضراً عندنا سؤال الثوابت والحقوق والأهداف الوطنية، وسؤال المقاومة والبرنامج النضالي والسياسي، وسؤال وحدة المؤسسات القيادية ومرجعية القرار.

كل ذلك من شأنه أن يُذكي حماستنا وروحنا الجمعية في المواجهة مع الاحتلال، من ناحية. ويبرز أمامنا جلياً أهمية تلك الأسئلة الكبرى وضرورة البحث عن أجوبة حقيقية لها يتوافق حولها الجميع، من ناحية ثانية، لا سيما أن موضوعات تلك الأسئلة تتعرض اليوم أكثر من أي وقت مضى لمخاطر كبيرة تهدد مستقبلنا الفلسطيني. ومن ناحية ثالثة، فإن سعينا للإجابة عليها، في مثل هذه الأجواء الوطنية ونحن في ميدان المواجهة، سيسهل بإذن الله التوافق حولها، خاصة مع نشوء صور عملية ناجحة متوقعة في الميدان من التنسيق والتعاون والعمل المشترك وإدارة القرار معاً.

موضوع المصالحة وترتيب البيت الفلسطيني

- **الانقسام حالة استثنائية خاطئة، والوحدة الوطنية هي الأصل والأساس في حياة الشعوب والأمم**، فكيف حين نكون في حالة مقاومة ومواجهة مع الاحتلال!!

- الحديث عن إعادة بناء المشروع الوطني الفلسطيني يقتضي - بمنطق البداهة والشرط الموضوعي - الحديث عن المصالحة وتوحيد الصف الفلسطيني، حتى نصنع البيئة السياسية والنفسية والعملية التي تسهّل بناء الرؤية الجامعة للمشروع الوطني.

من هنا تتأكد أهمية إنجاز المصالحة، وإعادة ترتيب البيت الفلسطيني وبناء مؤسساته السياسية على أسس راسخة؛ من الديمقراطية، واستيعاب الجميع، والشراكة الحقيقية في إدارة القرار وتحمل المسؤولية.

• **وحتى ننجح في تجاوز الإخفاقات السابقة، من الضروري استحضار العوامل الرئيسة التي تقف خلف تعطيل جهود المصالحة ومحاولاتها المتكررة. وأهم تلك العوامل هي:**

العامل الأول: التدخلات الخارجية، خاصة الإسرائيلية والأمريكية، والرباعية الدولية من قبل حين وضعت شروطها المعروفة، وما نشأ عن ذلك من ضغوط وابتزازات سياسية ومالية، وإخضاع الأموال الممنوحة للسلطة للمساومة.

وأعداؤنا بالطبع لهم مصلحة في استمرار انقسامنا، ولذلك يقفون ضد أي خطوة جادة للمصالحة.

لكن القرار قرارنا، ونحن أصحاب المصلحة، والمسؤولية التاريخية أن ننهي الانقسام ونغادر مربعه سريعاً. وأرى أن تأثير هذا العامل المتعلق بالتدخلات والضغوط الخارجية قد تراجع في الفترة الأخيرة، وإن لم يتوقف. وهو ما يعني أن المسؤولية الأكبر تقع على أكتافنا، وحين نصّر على مصالحتنا ووحدتنا الداخلية، فإن العوامل الخارجية تصبح محدودة التأثير.

العامل الثاني: عدم استقرار فكرة الشراكة الوطنية لدينا كقوى وفصائل، بالقدر الكافي الذي يجعلها راسخة في حياتنا النضالية والسياسية، وإدارة قرارنا ومؤسساتنا وبرامجنا.

ويبدو أنه أصابنا – فلسطينياً – ما أصاب الواقع السياسي العربي بصورة عامة من استئثار الأحزاب الحاكمة – إن وُجدت – بالقرار، وتفردها بالسلطة، والتعامل مع القوى الأخرى في أحسن الأحوال بمنطق التبعية أو الشركاء الملحقين (كومبارس).

الشراكة الوطنية الحقيقية هي المفتاح الأهم في إنجاز المصالحة وإنهاء الانقسام. وتحت خيمة الشراكة: الكل موجود، والكل رابح، والرابح الأكبر هو الوطن والشعب والقضية.

العامل الثالث: وهو امتداد للعامل السابق، حيث يخشى البعض من تبعات الانخراط في برنامج نضالي وسياسي وطني مشترك، تمثل المقاومة روحه وجوهره، إلى جانب العناصر والمكونات الأخرى في البرنامج.

فالسنوات الطويلة الماضية رسخت للأسف انقساماً عميقاً في المفاهيم والرؤى حول المقاومة وخياراتها وأساليبها، وحول البرامج السياسية وأدواتها وتكتيكاتها، ما جعل بعض الأطراف الفلسطينية غير مستعدة أن تبرح المربع الذي اعتادت العمل فيه، نجحت أم فشلت. خاصة أنها متخوفة من تبعات الانخراط من جديد في مسار المقاومة والمواجهة المفتوحة مع الاحتلال على كل الصعد، والأثمان التي قد تلحق بها.

• نحن نرى أن الوثائق السياسية التي اتفقنا عليها فلسطينياً طوال السنوات الماضية، مثل وثيقة الوفاق الوطني لعام ٢٠٠٦، وما اعتمدناه من برامج وأوراق في إطار اتفاقيات المصالحة المتعددة، وحكومة الوحدة الوطنية الأولى عام ٢٠٠٧، كل ذلك يكفي لتشكيل قواسم مشتركة لبرنامج وطني نضالي وسياسي واحد، وتشجيع الجميع على الانخراط فيه والعمل جنباً إلى جنب مع شركاء الوطن، دون أن يتخلى أي طرف بالضرورة عن قناعاته الخاصة به، ولا تجعل أحداً – في ظل هذه الشراكة - متفرداً برؤيته وقراره، ولا وصياً على الآخرين.

• **بهذه الروح، وبالتغلب على المعوقات المذكورة آنفاً، يكون المدخل الصحيح لتحقيق المصالحة وبناء وحدتنا الوطنية من جديد.**

فلا نستجيب مطلقاً لأي تدخلات أو ضغوط خارجية. ثم نعالج مخاوفنا وتباياناتنا فيما بيننا بروح التقارب المتبادل، والتوافق على قواسم مشتركة؛ يمكننا العمل على أساسها من ناحية، وتكون متوافقة مع جوهر قضيتنا وحقوقنا وثوابتنا الوطنية، من ناحية ثانية، ومكافئةً للتحديات والمخاطر المحدقة بنا، ونابعة من حصيلة تجاربنا وخبراتنا السابقة، من ناحية ثالثة.

وخلاصة القول في ذلك: وحدتنا الوطنية، وإنجاز المصالحة، والعمل معاً من موقع الشراكة في المسؤولية والقرار، ... ليس نافلة، ولا مجرد خيار، بل واجب وضرورة، خاصة في هذه اللحظة الحاسمة من مسيرتنا الفلسطينية.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

• أيهـا أولاً: إنجـاز المصالحـة، أم الاتفـاق علـى برنامـج سياسـي، أم إعـادة بنـاء منظمـة التحريـر الفلسـطينية، أم بنـاء المشـروع الوطنـي؟

كل هذه العناوين ذات أولوية وأهمية خاصة. وهي في الأصل متداخلة ومتشابكة فيما بينها، وبعضها جزء من البعض الآخر، لذلك لا بد أن نسـعى فيها جميعاً للوصول إلى اتفاق ورؤية مشـتركة حولها، وعلى أرضيتها تتحقق الوحدة الوطنية الشاملة بكل أبعادها.

في المـاضي، ورغـم وضوح هذا التشـابك، كان المتحـاورون على طاولة المصالحة حريصين عـلى تجنب الدخول في التفاصيـل الشـائكة للتباين والاختـلاف حول البرنامج السـياسي والمشروع الوطني، خشـية أن تباعد بينهم، لأن الجميع كان حريصاً على أولوية إنهاء الانقسام وسرعة الوصول إلى اتفاق مصالحة وتوحيد المؤسسات السياسية.

اليـوم، نسـتطيع أن نبحـث في كل هـذه العناويـن مـرة واحـدة، لنؤسـس لتفاهـم واتفـاق شـامل وحقيقـي. يسـاعد عـلى ذلـك أن نجتهـد في توفـير مناخـات إيجابيـة للمصالحـة، وعقـد اللقاءات المشـتركة على مسـتويات مختلفـة، وخاصـة عـلى مسـتوى الأمنـاء العامـين للفصائـل أو الإطـار القيـادي المؤقـت، وكذلـك تعزيـز بيئـة العمـل الوطنـي المشـترك في الميـدان وفي السياسـة في مواجهة قـرار الضم وإجـراءات الاحتلال، فكل ذلك سـيخلق بيئـة سياسـية ونفسـية تسـاعد على بحث تلـك العناويـن الوطنية الكبـيرة، وتسـهيل الوصول إلى اتفـاق حولها بين المجموع الوطني.

كما أن ذلك من شـأنه أن ينقلنا من التفكير في أسـئلة السـلطة والانقسـام والخلاف الداخلي، إلى أسـئلة التحرر والـصراع مـع الاحتلال، وبناء المشروع الوطني الفلسـطيني، وتعزيز وحدتنا الوطنية النضالية والسياسـية.

وبالنظـر إلـى جاهزيـة مختلـف القـوى والشـخصيات الوطنيـة الفلسـطينية اليـوم، أكثـر مـن أي وقـت مضـى، إلـى الدخـول سـوياً معـاً فـي برنامـج نضالـي وسياسـي مشـترك، لمواجهـة قـرار الضـم والمخاطر والتحديات المترتبة عليه، **فإن المسـؤولية الأولى الآن هي بيد قيادة السـلطة والمنظمة**، بأن تبادر إلى عقد

اجتماع عاجل للقيادات الفلسـطينية، للحوار والبحث في خطة المواجهة، وفي مختلف العناوين والقضايا الوطنية، والخروج برؤية مشـتركة، وقرار واحد، وبرنامج تحرك ميداني وسـياسي موحد.

• **لا يصـح – موضوعيـاً – وضـع التسـوية مقابـل المقاومـة فـي سـياق القـول: إن الأولـى فشـلت، والثانيـة محاصـرة، فمـا هـو البديـل؟!**

هذا التقابل غير صحيح، والتقييم بهذا الاختزال المخل أمر خاطئ.

التسـوية فشـلت، هذا صحيـح، يؤكد ذلك حقائق اليـوم، وحصادها عبر العقود الماضية. وهـي قد فشـلت لأنها بُنيت على أساس خاطئ وتقدير موهوم. ثم أديرت بطريقة خاطئة، حين تخلى أصحاب نهج المفاوضات والتسوية عن أوراق القوة التي يملكونها، واسـتعجلوا قطف ثمارها، فكانت نتائجها كما رأينا. ما هكذا يُصنع السـلام ولا تـدار المفاوضـات، فمـن يفقد حضـوره القوي في الميدان، ويأتي إلى طاولة المفاوضات مكشـوفاً مـن أوراق القوة، وشركائه في المشروع، وحاضنته الشـعبية، لا يحقق شـيئاً إلا ما يسـمح به العدو من فتات.

أمّا أن المقاومة محاصرة، فنعم، ولكنها لم تفشل، بل أنجزت على الأرض، وعززت ثقة شعبنا بنفسه، وأربكت العدو في حسـاباته. ورغم حصارها، تطورت المقاومة، وتعملقت، وأبدعت، وتفوقت على نفسـها، وتقف اليوم ندّاً للاحتلال.

الحل إذاً، ليس بالبحث عن سبيل ثالث، بل بالتمسك بخيارنا الطبيعي الأصيل، أي المقاومة، وأن نعمل سوياً على تطويرها وتعزيزها وحمايتها، في إطار اسـتراتيجية نضالية وسياسـية شـاملة، ونخوض معركتها وندير قرارها معاً بصفٍ موحد.

هذا هو السـبيل الوحيد للإنجاز والنجاح، والتحرر والتحرير. لسـنا بدعاً من الشـعوب؛ هذه هي حقائق الحياة وسننها، ومسيرة الأمم وتاريخها.

رؤيـــــة
خالد مشعل

بين حل السـلطة الفلسـطينية وتغيير وظيفتها

لـو كان القـرار متعلقـاً بالإنشـاء ابتـداءً، لـكان الموقـف الطبيعـي عـدم إنشـاء سـلطة تحـت الاحتـلال، لأنهـا لـن تكون إلا بقيـود وشروط والتزامات أمنية وسياسـية واقتصادية. وتجربة السـلطة -تحت سـقف أوسلو السـياسي وباريس الاقتصادي – أثبتت ذلك.

لكن السؤال اليوم متعلق بسلطة قائمة، فماذا نفعل بها؟

- **خيار حل السلطة ممكن، وله دواعيه وأسبابه، وله متطلباته.**

فلتُقـذف كل الالتزامـات الأمنيـة والسياسـية في وجـه الاحتلال، فهو المسـتفيد الوحيد منهـا، بينما هي عبء علينـا ونزيـف متواصل في صورتنا ومصالحنا وجبهتنا الداخلية. وليتحمل العدو مسـؤوليته عن متطلبات الحياة اليومية في الأراضي التي يحتلها، كما تنص على ذلك القوانين الدولية. ولنتفرغ نحن لمقاومتنا ومعركتنا المفتوحة مع الاحتلال، وتوفير متطلبات الصمود لشعبنا، حتى الخلاص والتحرير والاستقلال الحقيقي، وبعدها نبني دولة حرة لا سلطة رهينة.

لكن خيار حل السلطة يتطلب شرطاً موضوعياً أساسياً، وهو التوافق الوطني على ذلك، وإلّا فالنتيجة هي الصراع الداخلي بيننا، والانشغال بأنفسنا، وانتقال الأزمة إلى ساحتنا، بدل أن تكون الأزمة والصراع مع عدونا المحتل.

- **إذا تعـذر التوافـق الوطنـي علـى حـل السـلطة، فالخيـار الوحيـد المتبقـي تغييـر وظيفـة السـلطة**، وهو خيار لازم تقتضيه الضرورة والمسـؤولية الوطنية، إذ لا يصح أن نقبل باستمرار وظيفة السلطة الحاليـة والتزاماتها الأمنية لصالح الاحتلال.

هـل تغيـير وظيفة السـلطة ممكـن؟ نعم ممكن، وواقعـي، لكنه مكلف ولـه ثمن. وما دام هـذا الأمر ضرورة

ومصلحـة وطنيـة، فلندفـع الثمن ونتحمل التبعات، ونحن بالأصل ندفع الكثير مـن الأثمان والتضحيات في جميع الأحوال بسـبب الاحتلال نفسـه، فهو أساس المشكلة. وطالما أن الثمن سندفعه في كل حال، فليكن ذلك على أرضية الحريـة ومقاومـة الاحتـلال، لا على أرضية الخضوع لشروطـه وإملاءاته، التي هي بالضرورة على حسـاب أمننا ومصالحنا وحقوقنا واسـتقلال قرارنا.

• **بالنسـبة لمسـألة الجمـع بيـن المقاومـة والسـلطة، هـل هـي ممكنـة؟** أم أن السـلطة سـتكون على حساب المقاومة، لأنها تقيِّدها وتشغلها بمسؤوليات الحياة اليومية للناس، وتثقلها بحسابات السلطة نفسها والضغوط الواقعة عليها؟

تفكيك هذه المسألة يساعد على حلِّها، والوصول إلى الرؤية الصحيحة بشأنها، بعيداً عن الخلط والتشابك.

حين تكون في حالة اشـتباك ومقاومة مع الاحتلال، فلا تنشْـئ سلطة ابتداءً، حتى لا تشغلك وتقيدك، وركِّز على مسؤوليات المقاومة وأولوياتها، وتوفير عوامل الصمود لشعبك.

لكن حين تجد نفسك أمام واقع سلطة قائم تحت الاحتلال، نشأت في ظروف سابقة معروفة، وكانت موضوعاً خلافيـاً في السـاحة الفلسـطينية، فأنت حينئذٍ أمام خياريـن؛ إما أن تبادر إلى حلِّها، وهـذا يتطلب التوافق الوطني كما ذكرنا سـابقاً. وإما أن تسـعى إلى تغيير وظيفتها ودورها، وذلك يحتاج إلى جهود كبيرة وعمل وطني مشـترك لتحقيـق هـذه الغايـة. لكن لا خيار لنا آخر، إذْ لا يصح أن تظل السـلطة على حالهـا الراهن، وتتحول إلى عبء على شـعبنا، بدل أن تكون عبئاً ثقيلاً على الاحتلال.

خيـار تغيـير وظيفة السـلطة يقودنا بالضرورة إلى حالـة الجمع بين المقاومة والسـلطة. ونحن نرى أن الجمع بينهما ممكن، بل لا يسعنا إلّا فعله طالما أن السلطة موجودة بالأصل. وهو ما عملت عليه حماس وقوى المقاومة في غزة، وتحملت جرّاء ذلك الكثير من المعاناة، دون أن تقصِّر في مسؤولياتها تجاه المقاومة وصد العدوان، بل إنها – في ظـل هـذه المعادلـة – نجحـت في أسر جندي إسرائيلي في المعركة، هو شـاليط، وكان ذلك مدخلاً لإجراء صفقة تبادل مع الاحتلال للإفراج عن عدد كبير من أسرانا وأسـيراتنا.

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

رؤيـــــة
خالد مشعل

إذاً، خيـار الجمـع بين المقاومة والسـلطة ممكن، رغـم صعوباته وتبعاته الثقيلة، حيث أن العدو سـيمارس كل أشكال الضغوط والعقوبات على السلطة، وحصارها واستهدافها، وهو ما رأيناه ونراه اليوم في تعامله مع الإدارة الحكومية في غزة، وما جرى كذلك من قبل في الضفة الغربية حين زاوجت السـلطة آنذاك بين المقاومة والسياسـة في سنوات الانتفاضة الثانية.

وهذا قدر أي شـعب يعيش تحت الاحتلال، سـيعاني في جميع الأحوال، لكنه لا يسـتطيع أن يتخلى عن رسـالته الطبيعية، وهي مقاومة الاحتلال والاشـتباك معه حتى الحرية والتحرير والاسـتقلال.

ثمـة حالـة خاصـة الآن في غـزة ومنذ أن غادرها الاحتلال وفكك مسـتوطناته منها عام ٢٠٠٥، رغم اسـتمراره في حصارهـا وشَـنِّ الاعتـداءات والحروب المتلاحقة عليها. ماذا تفعل القوى والفصائل هناك تجاه شـعبها وإدارة شؤونه اليومية؟

هذه حالة مختلفة تستوجب تصميم معادلة خاصة بها، تجمع بين مسؤولياتها في إدارة شؤون الحياة اليومية للناس وتعزيز صمودهم، وواجبها الوطني في مواصلة رسـالة المقاومة، وصد العدوان، والعمل على اسـتراتيجية التحرير، جنباً إلى جنب مع مجموع قوى شعبنا وفصائله وجماهيره في الداخل والخارج.

وهذا المثال الواقعي يشير إلى طبيعة الحالة الفلسطينية في تعدد ظروفها وتفاوتها ضمن الجغرافيا الفلسطينية الواحدة، لكن تجمعها في ذلك الوقت نفسه وحدة الغاية والمصير، فنحن شعب واحد لديه ذات الأهداف والتطلعات نحو تحرير وطنه، واستعادة قدسه، وعودة لاجئيه، والعيش كبقية شعوب العالم في دولة حرة مستقلة بلا احتلال ولا وصاية ولا قيود.

وتحت سقف هذه القضية والغاية الواحدة، تتوزع الأدوار، وتتنوع أشكال النضال والمقاومة، والعمل السياسي، كل بحسب ساحته والظروف المحيطة به.

حول المستقبل
وعناوين أخرى متداولة

رؤيـــــة
خالد مشعل

ما بعد فشل التسوية

• **مسألة البحث عن بديل للدور الأمريكي المنحاز بالكامل للكيان الصهيوني كما يطرح البعض، لا تُشكل مدخلاً صحيحاً لنا لإعادة تقييم موقفنا الفلسطيني.** لأن ذلك يعني البقاء في مربع التسوية والرهان على المفاوضات، والإصرار على إعادة انتاجها رغم فشلها الذريع، ومن ثم طرح مسألة البحث عن راعٍ جديد غير الراعي الأمريكي لمواصلة مشوار طويل آخر من التيه والركض خلف السراب!!

علاوة على ما ثبت لأصحاب خيار التسوية أنفسهم، أنه لا أحد في الساحة الدولية لديه المقدرة على تقديم نفسه بديلاً عن الراعي الأمريكي؛ لا الاتحاد الأوروبي، ولا الاتحاد الروسي، ولا غيرهما، والكيان الصهيوني بالأصل لم يقبل ذلك.

• **المدخل الصحيح – إذاً - هو البحث عن رؤية جديدة ومقاربة مختلفة لاستراتيجيتنا في مواجهة الاحتلال والصلف الصهيوني، خارج مربع التسوية الفاشلة.** ومن ثم يكون التحرك على الساحة الدولية، كما الساحة العربية والإسلامية والإقليمية، في سياق استراتيجية شاملة؛ تواجه المحتل على الأرض، وتوفر عوامل الصمود ومتطلبات المواجهة، وتسعى لحشد كل أشكال الدعم والتأييد السياسي والمادي والمعنوي.

وهذا لا يعني أننا كفلسطينيين نطالب إخواننا في الأمة وأصدقاءنا في العالم أن يحاربوا بالنيابة عنا، أو أن ينتقلوا معنا من مربع التسوية إلى مربع الحرب بمفهومها التقليدي، أي حرب الجيوش، فنحن نعلم أنّهم لن يفعلوا ذلك، وليسوا قادرين عليه في الوقت الحاضر، خاصة في ظل ما يعانيه واقعنا العربي والإسلامي من ضعف وانقسام ونزيف.

إنما القصد أن نقول للجميع: لقد تركنا خيار التسوية العبثي، الذي استنزَفَنا طويلاً، وثبت فشله بعد تجارب مريرة، وانتهجْنا بدلاً من ذلك استراتيجية المواجهة مع الاحتلال واستنزافه بالمقاومة، وعلى أساس ذلك ندعوكم

إلى مشاركتنا ودعمنا وإسنادنا والوقوف إلى جانبنا، كلٌّ حسب ظرفه وإمكاناته. وتستطيعون الرهان علينا وعلى قدرتنا على الانتصار في هذه المعركة، وإجبار الاحتلال على التراجع والانسحاب والتسليم بحقوقنا، فهذا العدو تأكد لكم ولنا أنه لا يحترم الضعفاء، ولا يعطي إلا تحت الضغط والإكراه.

ولا شك أن الصورة التي صنعها شعبنا طوال تاريخه، بشجاعته وإصراره وإبداع مقاومته، وقدرته الفائقة على الصمود في وجه الاحتلال، وحين يرانا إخواننا وأصدقاؤنا في العالم موحدين كفلسطينيين وراء هذه الاستراتيجية الجادة، فإنهم سيحترمون قرارنا، ويقفون إلى جانبنا، وستتعزز ثقتهم بقدرتنا على النجاح والانتصار.

صفقة القرن وفرص التطبيق

كان التخطيط عند مخترعي صفقة القرن الأمريكان والإسرائيليين أن يتم تطبيقها مرة واحدة، بعد التمهيد لها بالجزرة عبر المسار الاقتصادي. لكنهم فوجئوا بالإجماع الفلسطيني على رفضها، وعدم الموافقة عليها من غالبية الموقف العربي والإسلامي الرسمي، وحتى مَنْ كان منهم يدعمها بالسر لم يستطع أن يَحْمِلَ الفلسطينيين والعرب عليها.

لذلك اضطروا للتأني والتأجيل، ثم لجأوا إلى تطبيقها على مراحل وبالتقسيط، لتسهيل تمريرها على أرض الواقع بأقل قدر من التداعيات. فكان نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، واعتراف الإدارة الأمريكية رسمياً بضم الجولان، واستهداف الأونروا مالياً في إطار العمل على شطب ملف اللاجئين. كما تسارعت محاولات التطبيع وإحداث اختراقات صهيونية في جزء محدود من الجدار العربي الرسمي، وجزء هامشي جداً من النخب، وهي تلك المصنوعة والموجهة. ثم كان قرار الاحتلال ضم جزء مهم وكبير من الضفة الغربية بغطاء أمريكي.

بمعنى أن حسـابات البيدر المختلفة عن حسـابات الحقل دفعت الكيان الصهيوني والإدارة الأمريكية إلى تجاوز خيـار الإعـلان الرسـمي عن تطبيق صفقة القرن، إلى تنفيذها عـلى الأرض بالأمر الواقع خطوة بعد خطوة. وهذا لا يقلل من خطورتها، ولكن يجعل أمر التصدي لها أيسر نسـبياً، لأنها مرفوضة فلسـطينياً بالإجماع، ومفتقرة للغطاء العربي الرسمي.

حول علاقات حماس السياسية

بـصرف النظـر عـن تغيير بعض الدول العربية لسياسـتها تجـاه الحركة، وبدون الدخول في سـجال مع أحد، أو وضع اللوم على أحد، فإنه لا مصلحة لنا ولا لأي مخلص في أمتنا أن ننشغل بالسجال والخلاف بيننا عن معركتنا مع الاحتلال، لا سـيما في هذه اللحظة التاريخية.

لكنهـا فرصـة للتذكيـر بسياسـات حمـاس المعتمـدة لديهـا فـي علاقاتهـا السياسـية مـع الـدول العربيـة والإسـلامية ودول العالـم الأخـرى. والخلاصـة فـي ذلـك:

- الحركة تركز على أولوية صراعها مع الكيان الصهيوني، فلا صراع ولا معركة لها مع أحد إلا مع العدو المحتل.

- وهي لا تتدخل في شـؤون الآخرين، كما لا تقبل من أحد أن يتدخل في شـؤونها، وليسـت طرفاً في أي نزاع أو أزمة في أي دولة أو ساحة.

- نحن في ذات الوقت حريصون على الأمن القومي العربي والإسـلامي، وعلى مصالح أمتنا واسـتقرارها. ويدنا كانت وما زالت وسـتبقى ممدودة إلى أشـقائنا في الدول العربية والإسـلامية، وأصدقائنا في العالم، والتعاون معهم في القضايا والمسـاحات المشتركة، لصالح الجميع، وبما يخدم شعبنا وقضيتنا ومقاومتنا للاحتلال.

- مـن قيمنـا وواجبنا أن نشـكر كل من يدعمنا ويقف إلى جانبنا، وأن نحمـل لهم التقدير والعرفان. لكن ذلك لا يعنـي رهـن قرارنا لأحد، فنحن لسـنا في جيب أحد من الـدول مهما كان انتماؤها أو تصنيفها، ومهما كان دعمها لنا، بل قرارنا كان وسـيبقى حراً مسـتقلاً لا نسمح لأحد التدخل فيه.

- كما أن شكرنا لكل من يدعمنا ويلتقي معنا في معركتنا ضد الاحتلال الصهيوني، لا يعني موافقتنا أو تأييدنا لسياسـاتهم وأجنداتهم الخاصة بهم في المنطقة أو في غيرها.

الخاتمة

رؤيـــــة

خالد مشعل

المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة قرار الضم

بعد كل ما مضى من حديث حول الرؤية، والمشروع الوطني، وبرنامج المواجهة، وترتيب البيت الفلسـطيني، وحول التحديات المتسارعة المحدقة بنا، والتي نبحث في ظلها تلك العناوين الوطنية الكبيرة، ومع صعوبات واقعنا وتعقيداته، وقسـوة المعادلات التي تحكم السـاحة الإقليمية والدولية من حولنا، يأتي سـؤال التفاؤل والثقة واليقين بالمسـتقبل مشروعاً، بل وضرورياً.

ونحن بالتأكيد متفائلون، وعلى يقين بالمسـتقبل، وواثقون من الانتصار بإذن الله. فالتفاؤل والثقة صفة أصيلة في كل قائد، وشأن كل صاحب قضية يناضل من أجلها.

لكـن التفـاؤل ليس شـيئاً نبحث عنه، أو ننتظره، ونمنّي النفس به، فذلك شـأن العاجزيـن أو المراقبين للأحداث. أما أصحاب القضايا وصناع التاريخ فقدرهم أن يصنعوا التفاؤل واليقين، ويبعثوه في نفوس أتباعهم وشعوبهم، ويحققوا على الأرض ما يعززه وينمّيه، ويجعله حقيقة ماثلة لا مجرد أمل.

ودون ذلك أثمان وتضحيات، ونمط خاص من القادة الذين يتمتعون بالشـجاعة والجرأة واسـتعدادٍ عالٍ للمخاطرة، إلى جانب الوعي والحكمة والرأي الرصين؛ كما قال المتنبي:

وكلُّ شجاعةٍ في المرء تُغني ولا مِثلَ الشجاعة في الحكيم

فالقيادة مسؤولية، والقيادة حكمة ورأي سديد، وهي كذلك شجاعة وجرأة، وقدرة على المخاطرة، وإطلاق مواجهة تشعل الأرض تحت الاحتلال، وتنجز حقوقنا وأهدافنا الكبيرة.

بهـذه الـروح، وعلـى أسـاس هـذه الرؤيـة، والاسـتعداد لتحمـل التبعـات وتقديـم التضحيـات فـي ميدان المواجهـة، .. نحـن علـى يقيـن بالنصـر، ومتفائلـون بمسـتقبل فلسـطين، وواثقـون بقدرتنـا علـى تحريـر أرضنـا، واسـتعادة قدسـنا ومقدسـاتنا، وتحقيـق الحريـة لأسـرانا، والعـودة للاجئينـا، وإنجـاز الاسـتقلال بـإذن االله.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

«سورة الحج»